دروس من الحـياة

مجـموعة مقـالات

إعداد: مصطـفى الأزهـرى

معلم أول بالأزهر الشريف

هِيَ الأَيّامُ وَالعِبَرُ, وَأَمرُ اللهِ يُنتَظَرُ

أَتَيأَسُ أَن تَرى فَرَجاً, فَأَينَ اللهُ وَالقَدَرُ ؟

أبو العتاهية

الحمد لله علي وافر نعمائه, والشكر له علي لطفه في امتحانه وابتلائه، والصلاة والسلام علي نبينا الكريم,قدوة الصابرين في الضراء وأسوة الشاكرين في السراء.

وبعد فهذه مجموعة مقالات أكتبها علي بضاعة في العلم مزجاة، ولكن أمنّي نفسي أن تكون هذه الكلمات سلوة للمحزونين وأنيسا للمبتلين والمكروبين ، وكنت قد نشرتها على بعض المواقع و المدونات متفرقة ثم أذن المولى بتجميعها ههنا، والله الموفق والمستعان.

وبشّر الصابرين:

مكانة الصبر:

لقد عظّم ربنا جل وعلا في كتابه الكريم قيمة الصبر وشرّف قدر الصابرين (إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ) (يوسف: 90)
قال الإمام أحمد :إن الله ما عظّم شيئًا في كتابه كما عظم الصبر ؛فقد ذكر في أكثر من تسعين موضعًا.

من معاني الصبر:
قال الفيروزآبادي :وربما خولف بين أسمائه بحسب اختلاف مواقعه ,فإن كان حبس النفس لمصيبة سمي صبرًا, وإن كان في محاربة سمي شجاعةً , وإن كان في إمساك الكلام سمي كتمانًا ,وإن كان عن فضول العيش سمي جهدًا, وإن كان عن شهوة الفرج سمي عفةً, وإن كان عن شهوة الطعام سمي شرف نفسٍ, وإن كان عن إجابة داعي الغضب سمي حلمًا.(بصائر ذوي التمييز)(3/ 383)
وقال ابن القيم: والاسم الجامع لذلك كله (الصبر) ،وهذا يدلك علي ارتباط مقامات الدين كلها بالصبر. (مدارج السالكين 3/ 165)
إن الصبر هو عدة المؤمن أمام نوازل الدهر ،وهو الملجأ والمهرب الآمن من حوادث الزمان ,يبدو مرًا تجرّعه في بدايته, غير أن هذه المرارة سرعان ما يجد الصابر حلاوتها

مع الرضا والتسليم بقضاء الله , وهذا هو الإنسان السعيد حقا في دنياه ،من يصبر في الضراء الصبر الجميل ويصبر في السرّاء، أمام فتنة النعيم بل يؤدي شكر هذه النعم كما أمر ربنا عز وجل.

ولعل فتنة السراء أشد و أقسى؛ لأنها تأتى عن رفهٍ و تنعّم ، قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ : بُلِينَا بِالضَّرَّاءِ فَصَبَرْنَا ، وَبُلِينَا بِالسَّرَّاءِ فَلَمْ نَصْبِرْ. (حلية الأولياء)

ما أسعد الصابرين بصبرهم في الدنيا و الآخرة:

اللهُ أسعدَنِي بظلّ عقيـــــدتِي * * * أفيستطيعُ الخلـــقُ أن يُشْقونى؟

يقول ابن القيم: فخير عيش أدركه السعداء لصبرهم وترقوا إلي أعلي المنازل لشكرهم, فساروا بين جناحي الصبر والشكر إلي جنات النعيم, وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

الصبر خير عطاء:

روي البخاري ومسلم وغيرهما عن ابن سعيد الخدري أن ناسًا من الأنصار سألوا رسول الله صلي الله عليه وسلم فأعطاهم ثم سألوه فأعطاهم ثم سألوه فأعطاهم حني نفد ما عنده فقال: (ما يكون عندي من خير فلن أدخره عنكم ومن سيتعفف يعفه الله, ومن يستغن يغنِه الله , ومن يتصبر يصبره الله وما أعطي أحد عطاءً خيرً من وأوسع من الصبر .)

في هذا الحديث الجامع ،بشري لأهل الصبر أنهم قد منحوا خير عطية ،في هذه الدنيا بصبرهم ،وما ينتظرهم من عظيم الجزاء في الآخرة، كما أن فيه بشارة لمن ليس من طبعه الصبر أن يُكره نفسه علي الصبر، و أن يتكلّفَ الصبر قدر المستطاع ،حتى يصير سجية فيه مستعيناً بالله وبحوله وقوته سبحانه.

المؤمن الصادق يصبر أمام الشهوات الزائلة فلا تستعبده:

ولا يذهبن العمر منك سبهللًا *** ولا تُغبنن بالنعمتين بل اجهد

فمن هجر اللذات نال المني ومن *** أكبَّ علي اللذات عضّ علي اليد

فتراه يجتهد دائمًا في دعاء من لا ملجأ ولا منجي منه إلا إليه، سبحانه أن يفك كربه ،وأن ينيله ما يرجو ويؤمّل.

قال محمد بن بشير الخارجى:

لا تَيْأَسَنَّ وإنْ طالَتْ مُطالَبَةٌ إذا استعنَت بصبرٍ أنْ ترى فَرَجا

إنَّ الأمور إذا انْسَدَّتْ مسالِكُها فالصبرُ يفتح منها كلَّ ما ارْتَتَجا

أخْلِقْ بذي الصبرِ أنْ يحظَى بحاجته ومُدْمِنِ القَرْعِ للأبواب أن يَلِجَا

لا يمنعنّك يأسٌ منْ مطالبةٍ فضيّقُ السبل يومًا ربما انتهجا

الصبر نصف الإيمان:

يقول ابن القيم :ثبت أن الإيمان نصفان ; نصف شكر ونصف صبر باعتبار أن الإيمان إما فعل مأمور فهو شكر ،أو ترك محظور وذلك هو الصبر, وإما بأن العبد بين أمرين ,إما حصول محابّ ومسارّ(أي أمور محبوبة) فوظيفته الشكر، وإما حصول مكاره ومضار فوظيفته الصبر فمن قام بالأمرين استكمل الإيمان.

ثم قال عن الصبر: وأما حقيقته فهو خلق فاضل من أخلاق النفس ؛يمتنع به من فعل ما لا يحسن ولا يجمل، وهو قوة من قوي النفس التي بها صلاح شأنها وقوام أمرها. (عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين لابن القيم)

والنفس البشرية كدابة حرون (التي يصعب قيادتها) تريد أن تُترك في ملذاتها؛ فتقضي منها أوطارها, كما أنها تكره القيود من أحكام العُرف والشرع ,فتبغي ألا يكون لها غلٌّ يقيد تصرفاتها .

قال الشاعر:

أري النفس تهوي ما تريد وفي متبعتي لها عطبٌ شديد
تقول وقد ألحّت في هواها مرادي كلمـــــــا أهوي أريد

وقال آخر:

وقال آخر:

والنفس كالطفل إن تهمله شبّ علي حبِّ الرضاع وإن تفطمه ينفطمِ

وسئل الجنيد بن محمد عن الصبر فقال : تجرُّع المرارة من غير تعبّسٍ (أي تحمل مرارة العيش دون إظهار الضيق والتضجر).

وقال ذو النون المصري :الصبر: التباعد من المخالفات، والسكون عند تجرع غصص البلية, وإظهار الغني مع حلول الفقر بساحات المعيشة.

لا شك أن كل إنسان يعمل على شاكلته، واستعداده فى دار العناء و الاختبار و البلاء هذه...يقول سيدنا على:

هَوّنِ الأَمْرَ تَعِشْ في راحَةٍ كُلَّما هَوَّنْتَ إلاَّ سَيَهُونُ
ليس أمر المرء سهلا كله إنما المرء سهولٌ وحزون
تَطْلُبُ الرَّاحَةَ في دارِ العنا خاب من يطلب شيئاً لا يكون

و قال ابن القيم : من خلقه الله تعالى للجنة لم تزل هداياها تأتيه من المكاره، ومن خلقه الله للنار لم تزل هداياها تأتيه من الشهوات، فمن صبر على البلوى ورضي بقضاء الله فهنيئاً له بما بشّر الله عباده الصابرين. (الفوائد لابن القيم)

الصابر المحتسب لا يتحمل فقط مرارة العيش ونكد الدنيا، بل يجد اللذة في هذا النصب ،وتلك المعاناة ،مادامت في رضا الله عز وجل ؛فهو يعلم علم اليقين أنه سبحانه قادر علي أن يمنحه وأن يعطيه، وأن له سبحانه حكمة في المنع والعطاء ؛فلابد له من التسليم بقضائه فربما كان الفقر خيرًا له من الغني.

لن يدفعه الفقر أو ضيق العيش على أن يطلبه من شبهة، فضلًا عن أن يسعى له فى الحرام، موقنًا أن ما كان من رزقه آتيه لا محالة لكنها " الغمرات ثم ينجلين" ،كما أنه لا يطلب الرزق بمذلة أو تنازلات عن مبادئه.

قال الشاعر الحكيم:

لا تطلُبَنَّ مَعيشةً بمَذَلَّةٍ فلَيَأتِيَنّكَ رزقُك المَقدورُ

واعلَمْ بأنّك نائلٌ كلَّ الذي لكَ في الكتابِ مُحبَّرٌ مَسطورُ

واللهِ ما زاد امرُؤٌ في رزقِه حِرصٌ، ولا ضَرَّ امرءً تقصيرُ

و سأل رجل سفيان الثوري : مالي أطلب الشيء من الله تعالي فيمنعني ؟
قال: منعُ الله عطاء؛ لأنه لم يمنعك من بخلٍ ولا افتقارٍ ولا احتياج، وإنما يمنعك رحمة بك.
لقد نزل القرآن ،وهو أعظم كتاب للتربية ،علي قلوب هؤلاء الصحابة الكرام؛ مبشرًا للصابرين ومادحًا لأهل الصبر فتلقت تلك القلوب الغضة تلك الأوامر بالاستجابة الفورية؛ لأنهم كانوا يتلقون هذه الآيات وكأن الله عز وجل يخاطب كلًا

منهم بها لشخصه؛ فسرعان ما يستجيبون للأوامر الربانية , فلم يكن القرآن في نظرهم مجرد مصاحف ذات طباعة فاخرة محفوظة علي الأرفف، لا دراية للمسلم بمضمونها ومحتواها ،كما هو حال المسلمين اليوم مع القرآن , بل كان ديدنهم هو انتظار الأوامر لتطبيقها. ومصداق ذلك قوله صلي الله عليه وسلم :

(ما من عبد مؤمن أصيب بمصيبة فقال كما أمر الله تعالي " إنا لله وإنا إليه راجعون"، اللهم اؤجرني في مصيبتي، و أعقبني خيراً منها إلا فعل الله به ذلك .) رواه مسلم

رووا أن الخنساء الشاعرة التي أدركت الجاهلية والإسلام ،لو قارنا جزعها علي أخيها حين قتل في الجاهلية ،حتى كادت تقتل نفسها حزنًا عليه ،مع صبرها في الإسلام لكان ذلك عجبًا.

لقد كان مما قالت في أخيها صخر:

يذكرني طلوع الشمس صخرًا وأذكره بكل غروب شمسٍ
ولولا كثرة البــــــاكين حولي علي إخوانهم لقتلت نفسي

ولما أسلمت شهدت القادسية بين المسلمين والفرس ومعها أبناؤها الأربعة فاستشهدوا في ذلك اليوم واحدًا بعد واحد,فلما بلغها نعيهم في يوم واحد، لم تلطم خداً ولم تشق جيبًا ؛ بل قالت:الحمد لله الذي شرّفني بقتلهم وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقر رحمته.

....

الصبر في القرآن

لقد ورد الحديث عن الصبر في القرآن الكريم علي أوجه شتي , حصرها ابن القيم في ستة عشر نوعا , أتناولها بعون الله وتوفيقه بالشرح والتوضيح .

يقول الإمام :

الأول:-

الأمر به (أي الأمر بالصبر) نحو قوله تعالي (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ)البقرة :153.

المؤمن الصادق مع نفسه ومع الله، يتلو القرآن وكأن الله جل وعلا يخاطبه هو بهذه الأوامر والنواهي ,هكذا كان منهج الصحابة رضوان الله عليهم في تلقيهم للأوامر القرآنية ,فلذلك تأثروا بالقرآن , خلافًا لما نحن عليه من إقامة حروفه وإتقان تلاوته، وإضاعة حدوده.

عن بعض السلف أنه قال: "نزل القرآن ليُعمَل به فاتَخَذوا تلاوته عملًا".

المؤمن الصادق يتلو هذا القرآن تلاوة موقن أن الله تعالي لم يأمره بأمر ،من فريضة أو غيرها إلا وفيه الخير العميم للإنسان نفسه ,ولم ينهه عن أمرٍ إلا لما فيه من ضرر.

نري هذا المؤمن يستعذب الصبر علي ما فيه من مرارة ومشقة؛ إرضاءً لمن خلقه وسواه ,وأنشأه ورباه ,وأطعمه وسقاه من غير حول منه ولا قوة ؛لأنه سبحانه مستحق لكل محبة و تمجيدٍ وتعظيم.

أحبك لا تسألني لماذا لأنني   أحبك هذا الحب رأيي ومذهبي

فهو لحبه لمولاه يحب ما أحب مولاه، ويبغض ما أبغضه مولاه .
كما قال القائل:

فيا ساكني أكناف طيبة كلكم   إلي القلب من أجل الحبيب حبيب

يعلم علم اليقين أن الصبر خير محض (خالص) وأنه سبيل كل عزة وتمكين .

قال ميمون بن مهران: ما نال رجل من جسيم الخير (أي الخير العظيم) نبي ولا غيره إلا بالصبر.
و يقول الإمام الشافعي عن صبره في طلب العلم وهو صغير : ما أفلح في العلم إلا من طلبه في القلة ،(الفقر)ولقد كنت أطلب ثمن القراطيس فتعسر عليّ.

الثاني:-
وأما الوجه الثاني الذي به الصبر في القرآن فهو النهي عن ضده (أي النهي عن الجزع واستعجال الفرج) كقوله تعالي (فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ) الأحقاف 35

ويقول صلي الله عليه وسلم (إذا أحب الله قوما ابتلاهم فمن صبر فله الصبر، ومن جزع فله الجزع) صحيح: السلسلة الصحيحة - 146.
من شيم الصالحين التمسك بالصبر الجميل الذي لا تزعزعه تقلبات الدهر، ولا حوادث الزمان ,وهذا هو الصبر الجميل الذي ذكر في القرآن .
قال الإمام ابن تيمية :الصبر الجميل هو الذي لا شكوي فيه ولا معه، والصفح الجميل هو الذي لا عتاب معه، والهجر الجميل هو الذي لا أذي معه.
إذا كنا علي يقين أن ما قضاه الله كائن؛ فلنقبل هذا القضاء بالصبر الجميل دون ضجر أو شكوى.
يقول سيدنا علي للأشعث بن قيس:إنك إن صبرت جري عليك القلم وأنت مأجور، وإن جزعت جري عليك القلم وأنت موزور.
عجبًا لنا يمنحنا ربنا النعم والهبات بلا قيد ولا حساب، فإذا سلبنا نعمة واحدة نريد أن نحاسبه علي ما سلبنا بالجزع والسخط وعدم الرضا بقضائه.
يقول الفضيل: لا يجزع من المصيبة إلا من اتّهم ربه.

وصدق في قوله ،فكأني بهذا العبد الذي يسخط لنزول البلاء يتهم ربه وخالقه بالجور في حكمه ,وحاشاه سبحانه أن يجور.
اعلم أنه لم يمنعك هذه النعمة إلا لحكمة ولا ابتلاك بهذه النعمة إلا لحكمة , فربما كان عطاؤه لك من النعم حرمانا وربما كان حرمانه لك عطاءً يدخر لك أجره و ذخره عنده.

فاطّرح الجزع والسخط وتمسك بالصبر وإن كان مرًا ؛ فالعاقبة عند الله (إنما يوفي الصابرون أجرهم بغير حساب)

الصبر مثل اسمه مرٌ مذاقته لكن عواقبه أحلي من العسل

عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم " :- إن الله ليجرّب أحدكم بالبلاء وهو أعلم به كما يجرب أحدكم ذهبه بالنار، فمنهم من يخرج كالذهب الإبريز فذلك الذي نجّاه الله تعالى من السيئات، ومنهم من يخرج كالذهب دون ذلك، فذلك الذي يشك بعض الشك، ومنهم من يخرج كالذهب الأسود فذلك الذي قد افتتن".

أخرجه الحاكم في " المستدرك " وقال: هذا صحيح الإسناد، وأقرّه الذهبي .

الصبر فى القرآن - الجزء الثانى :

و مازلنا بحول الله وقوته مع الصور التي تحدث بها القرآن الكريم عن الصبر كما ذكرها الإمام ابن القيم،
يقول رحمه الله :

الثالث: الثناء علي أهله " أي أنه سبحانه قد امتدح أهل الصبر " كقوله تعالي ((وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ)) وهو كثير في القرآن.

وأحسب أن من أشد الناس صبرًا من يصمد للأهواء و الشهوات،إذ لا يجتمع الإيمان الصادق والتردد بين فعل الخير ساعة و الانغماس فى الملذات الآثمة ساعة أخرى.

كان بعض السلف يطوف بالبيت فنظر إلى امرأة جميلة فمشى إلى جانبها ثم قال:

أهوى هوى الدين واللذات تعجبني.... فكيف لي بهوى اللذات والدين؟

فقالت له المرأة : دع أحدهما تنل الآخر.

الرابع : إيجابه سبحانه محبته لهم كقوله (*وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ*)
وعلى رأسهم أنبياؤه و أولياؤه و العجب أنه لشدة محبته لهم زاد لهم في البلاء ، عن جابر رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (يَوَدُّ أَهلُ العَافِيَةِ يَومَ القِيَامَةِ حِينَ يُعطَى أَهلُ البَلَاءِ الثَّوَابَ لَو أَنَّ جُلُودَهُم كَانَت قُرِّضَت فِي الدُّنْيَا بِالمَقَارِيضِ) رواه الترمذي ، وحسَّنه الألباني في "صحيح الترمذي. "

الخامس : إيجاب معيته لهم وهي معية خاصة تتضمن حفظهم ونصرهم وتأييدهم؛ ليست معية عامة ،وهي معية العلم والإحاطة ,كقوله تعالي (*واصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ*)
لقد أثني ربنا جل وعلا علي أهل الصبر ,وامتدح سبحانه مسلكهم ومسعاهم ,وكيف لا والصبر طريق النبيين، ودرب المثابرين أصحاب الرسالات ،الطامحين إلي تبليغ دعوة الخير مستعذبين المشقة والعنت في سبيلها.

قال المتنبى:

لولا المشقة ساد الناس كلهمُ *** الجود يفقر والإقدام قتّال

فهؤلاء الصابرون الأفذاذ استحقوا الثناء الجميل ،لأنهم صبروا عن المعاصي أولًا ؛ فحرموا النفوس مما تشتهيه من المحرمات (وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى)

كَانَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ كَثِيرًا يَتَمَثَّلُ بِهَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ:

"تَفْنَى اللَّذَاذَةُ مِمَّنْ نَالَ صَفْوَتَهَا مِنَ الْحَرَامِ وَيَبْقَى الْوِزْرُ وَالْعَارُ

تَبْقَى عَوَاقِبُ سُوءٍ فِي مَغَبَّتِهَا لا خَيْرَ فِي لَذَّةٍ مِنْ بَعْدَهَا النَّارُ

وصبروا ثانيا بثباتهم علي طاعة ربهم مهما تكن المشقات والعقبات ،ولولا تثبيت الله لرسوله صلي الله عليه وسلم علي الطاعة، ما بلغنا هذا الدين وما آتت هذه الرسالة، أكُلها حتى نراه يصلي من الليل حتى تتورم قدماه ،مع أن الله تعالي قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر.
لولا هذا التثبيت ما رأينا تلك الصور الخالدة لشباب الإسلام، رهبان بالليل وفرسان بالنهار من أصحاب محمد وتابعيهم إلي قيام الساعة .

وقد أحسن القائل:
فلئن عرف التاريخ أوسًا وخزرجًا** فلله أوس قادمون وخزرجُ

وإن كنوز الغيب تخفي طلائعًا* صابرة رغم المكائد تخرج**

يقول التابعي الجليل أبو مسلم الخولاني : أيظن أصحاب محمد أن يستأثروا به دوننا ؟ كلا والله لنزاحمنهم عليه زحامًا ،حتى يعلموا أنهم قد خلفوا وراءهم رجالا.

نعم تلك التربية الربانية علي الصبر علي الطاعات، وترك الشواغل ،والمبادرة إلي الفرائض، مهما تكن الظروف هي التي انتشلت هذه الأمة من حمأة الجاهلية وجفاء الطبع إلي ذروة المجد والشرف والذي تمثل في اعتزازهم بهذا الدين بديلًا عن الاعتزز بالقبلية والعصبية الجاهلية.
عندما فتح عمر بيت المقدس وأتي يتسلم مفاتحه رأي جيش المسلمين العظيم له أربعة من القادة تحت إمرة أبي عبيدة, فكاد الغرور يتسرب إلي نفسه فقال: نحن قوم أعزّنا الله بالإسلام فمهما ابتغينا العز في غيره أذلنا الله.
وهذا الصبر علي طاعة ربهم قد أرغم أنوف أعدائهم، وأثار حفيظتهم؛ فهذا القائد الفارسي رستم عندما رأي المسلمين يصطفون مبادرين إلي الصلاة قال : أكل عمرُ كبدي يعلم الكلاب الآدابَ.
وناهيك بأهل الصبر فخرًا وعزة أن الله تعالي معهم يكلؤهم ويرعاهم، وإذا كان الله معهم فمن عليهم لن يخذلوا أبدًا أو يخيب مسعاهم.
يقول الدقاق: فاز الصابون بعز الدارين؛ لأنهم نالوا من الله معيته فإن الله مع الصابرين .
فكيف يستوي من جاهد نفسه لله ومن تركها لأهوائها ونزواتها

فيا وصل الحبيب أما إليه * بغير مشقة أبداً طريق**

قال ابن رجب رحمه الله :قال بعض الصَّحابة لمن سأله عن الـغزو ؟ ابدأ بنفسك فاغزها، وابدأ بنفسك فجاهدها، وأعظم مجاهدة النفس على طاعة الله. (لطائف المعارف)

و يقول ابن الجوزي مصورًا مشقة الصبر عن الهوى وأنه كالكي بالنار :لقيت راهبًا ضعيفًا فقلت له :أنت عليل؟
قال:نعم
فقلت :منذ كم ؟
قال : منذ عرفت نفسي
فقلت :تداوَ
قال أعياني الدواء (أي أتعبني البحث عن دواء لنفسي)ولكن عزمت علي الكيّ.
قلت: وما الكي؟
قال: مخالفة الهوى.

فهاتان صورتان للصبر استحق أصحابهما الثناء من الله تعالي :الصبر عن المحرمات والصبر علي الطاعات والصورة الثالثة هي صبر أصحاب الدعوات و أتباعهم علي تحمل المشقات في سبيل تبليغها ,فلو عرف القنوط سبيلاً إلي قلب النبي الكريم لحظة ما تم أمر هذا الدين , بل نراه حتى في أقسي لحظات الضيق والمشقة حينما آذاه أهل الطائف وأغرواْ سفهاءهم فرموه بالحجارة طريداً شريداً جاءه ملك الجبال يستأذنه أن يطبق عليهم الأخشبين إن شاء
فقال نبي الرحمة الذي جاء ليعتق الرقاب من النار (بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئًا) رواه البخاري ومسلم

السادس : إخباره بالصبر خير لأصحابه كقوله (*وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرينَ*)) وقوله ((*وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ*)

الصبر خير لهم في الدنيا ،فسرعان ما تنقضي الأيام وتتبدل المحن بالنعم ؛ فيربح من صَبَرَ غنيمة صبره معجلةً في هذه الدار , وخير لهم في الآخرة لما ينتظرهم من جزاء لا حدّ له ولا حساب فيه.

قال صفي الدين الحلي:

كن عن همومك معرضا
و كِل الأمورَ إلى القضاء
أبشر بخيرٍ عاجلٍ
تنسى به ما قد مضى
فلرُبَّ أمرٍ مسخطٍ
لك في عواقبه رضا
و لربما اتسع المضيقُ
و ربما ضاق الفضاء
الله يفعل ما يشاء
فلا تكن متعرّضا
الله عوّدك الجميل
فَقِس على ما قد مضى
صفي الدين الحلي

وهو خير لهم من الجزع والسخط ؛فيرسبون في ذلك الامتحان الرباني ،الذي شرفهم رب العزة بالدخول فيه، فلا ينالهم سوي الخسران المبين.

وإذا عَرَتْك بلية فاصبر لها*** صبر الكريــم فانه بك أعلم
وإذا شكوت إلي ابن آدم إنما*** تشكو الرحيم إلي الذي لا يرحم

ها هى قصة من عجائب قصص الصبر؛ أوردها ابن حبان فى كتابه (الثقات) قال:

عن عبد الله بن محمد قال خرجت إلى ساحل البحر مرابطا وكان رابطنا يومئذ عريش مصر قال فلما انتهيت إلى الساحل فإذا أنا ببطيحة وفي البطيحة خيمة فيها رجل قد ذهب يداه ورجلاه وثقل سمعه وبصره وما له من جارحة تنفعه إلا لسانه وهو يقول اللهم أوزعني أن أحمدك حمدا أكافىء به شكر نعمتك التي أنعمت بها علي وفضلتني على كثير ممن خلقت تفضيلا قال الأوزاعي قال عبد الله قلت والله لآتين هذا الرجل ولأسألنه أنى له هذا الكلام فهم أم علم أم إلهام ألهم فأتيت الرجل فسلمت عليه فقلت سمعتك وأنت تقول اللهم أوزعني أن أحمدك حمدا أكافىء به شكر نعمتك التي أنعمت بها علي وفضلتني على كثير من خلقت تفضيلا فأي نعمة من نعم الله عليك تحمده عليها وأي فضيلة تفضل بها عليك تشكره عليها قال وما ترى ما صنع ربي والله لو أرسل السماء علي نارا فأحرقتني وأمر الجبال فدمرتني وأمر البحار فغرقتني وأمر الأرض فبلعتني ما ازددت لربي إلا شكرًا لما أنعم علي من لساني هذا ولكن يا عبد الله إذ أتيتني لي إليك حاجة قد تراني على أي حالة أنا أنا لست أقدر لنفسي على ضر ولا نفع ولقد كان معي بني لي يتعاهدني في وقت صلاتي فيوضيني

وإذا جعت أطعمني وإذا عطشت سقاني ولقد فقدته منذ ثلاثة أيام فتحسسه لي رحمك الله فقلت والله ما مشى خلق في حاجة خلق كان أعظم عند الله أجرا ممن يمشي في حاجة مثلك فمضيت في طلب الغلام فما مضيت غير بعيد حتى صرت بين كثبان من الرمل فإذا أنا بالغلام قد افترسه سبع وأكل لحمه فاسترجعت وقلت أنى لي وجه رقيق آتي به الرجل فبينما أنا مقبل نحوه إذ خطر على قلبي ذكر أيوب النبي صلى الله عليه وسلم فلما أتيته سلمت عليه فرد علي السلام فقال ألست بصاحبي قلت بلى قال ما فعلت في

حاجتي فقلت أنت أكرم على الله أم أيوب النبي قال بل أيوب النبي قلت هل علمت ما صنع به ربه أليس قد ابتلاه بماله وآله وولده قال بلى قلت فكيف وجده قال وجده صابرا شاكرا حامدا قلت لم يرض منه ذلك حتى أوحش من أقربائه وأحبائه قال نعم قلت فكيف وجده ربه قال وجده صابرا شاكرا حامدا قلت فلم يرض منه بذلك حتى صيره عرضا لمار الطريق هل علمت قال نعم قلت فكيف وجده ربه قال صابرا شاكرا حامدا أوجز رحمك الله قلت له إن الغلام الذي أرسلتني في طلبه وجدته بين كثبان الرمل وقد افترسه سبع فأكل لحمه فأعظم الله لك الأجر وألهمك الصبر فقال المبتلى الحمد لله الذي لم يخلق من ذريتي خلقا يعصيه فيعذبه بالنار ثم استرجع وشهق شهقة فمات فقلت إنا لله وإنا إليه راجعون عظمت

مصيبتي رجل مثل هذا إن تركته أكلته السباع وإن قعدت لم أقدر على ضر ولا نفع فسجيته بشملة كانت عليه وقعدت عند رأسه باكيا فبينما أنا قاعد إذ تهجم علي أربعة رجال فقالوا يا عبد الله ما حالك وما قصتك فقصصت عليهم قصتي وقصته فقالوا لي اكشف لنا عن وجهه فعسى أن نعرفه فكشفت عن وجهه فانكب القوم عليه يقبلون عينيه مرة ويديه أخرى ويقولون بأبي عين طال ما غضت عن محارم الله وبأبي وجسمه طال ما كنت ساجدا والناس نيام فقلت من هذا يرحمكم الله فقالوا هذا أبو قلابة الجرمي صاحب بن عباس لقد كان شديد الحب لله وللنبي صلى الله عليه وسلم فغسلناه وكفناه بأثواب كانت معنا وصلينا عليه ودفناه فانصرف القوم وانصرفت إلى رباطي فلما أن جن علي الليل وضعت رأسي فرأيته فيما يرى النائم في روضة من رياض الجنة وعليه حلتان من حلل الجنة وهو يتلو الوحي سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار فقلت ألست بصاحبي قال بلى قلت أنى لك هذا قال إن لله درجات لا تنال إلا بالصبر عند البلاء والشكر عند الرخاء مع خشية الله عز وجل في السر والعلانية.

السابع:إيجاب الجزاء لهم بأحسن أعمالهم كقوله تعالي

(وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُواْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ).

فهذا مقام رفيع قد بشّر فيه رب العزة أهل الصبر، أنه سبحانه يكافئهم بمقدار أفضل أعمالهم، وينزلهم أكرم منزلة، ويرفع أقدارهم بصبرهم .
فيا صاحب المرض أبشر ثم أبشر و انتظر حسن الجزاء إن صبرت على لأولاء المرض و آلامه المبرحة،
فأنت فى كل الأحوال رابح ، فعَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " إِذَا مَرِضَ الْعَبْدُ بَعَثَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ مَلَكَيْنِ، فَقَالَ: انْظُرَا مَاذَا يَقُولُ لِعُوَّادِهِ، فَإِنْ هُوَ إِذَا جَاءُوهُ، حَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، رَفَعَا ذَلِكَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ أَعْلَمُ، فَيَقُولُ: لِعَبْدِي عَلَيَّ إِنْ تَوَفَّيْتُهُ أَنْ أُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، وَإِنْ أَنَا شَفَيْتُهُ أَنْ أُبْدِلَ لَهُ لَحْمًا خَيْرًا مِنْ لَحْمِهِ، وَدَمًا خَيْرًا مِنْ دَمِهِ، وَأَنْ أُكَفِّرَ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ " الموطأ وقال عنه الألباني فى صحيح الترغيب [حسن لغيره]

و هل يستوي في عدله – سبحانه - من عاش حياته بالطول والعرض ،ومن عاش مبتليً محرومًا ؛فصبر واحتسب ورضي بنصيبه .
أم يتكافأ فى الآخرة من يريد حرث الدنيا ويجعلها منتهى أمله و من يبغى حرث الآخرة؟؟!!

اجتمع عبد الله بن عمر، وعروة بن الزبير، ومصعب بن الزبير، وعبد الملك بن مروان بفناء الكعبة؛ فقال لهم مصعب: "تمنوا"، فقالوا: "ابدأ أنت"، فقال: "ولاية العراق، وتَزَوُّجَ سكينةَ ابنة الحسين، وعائشة بنت طلحة بن عبيد الله"، فنال ذلك، وصدَّق كلَّ واحدةٍ خمسمائة ألف درهم، وجهزها بمثلها، وتمنى عروة بن الزبير الفقه، وأن يحمل عنه الحديث، فنال ذلك، وتمنى عبدالملك الخلافة فنالها، وتمنى عبد الله بن عمر الجنة!.

وسُئل امرؤ القيس الشاعر الجاهلي: ما أطيب عيش الدنيا؟
فقال :بيضاء رعبوبة بالطيب مشبوبة ,باللحم مكروبة. (الرعبوبة: البيضاء الحسنة الرطبة).

وقيل لعبد الملك بن الأهتم: ما السرور؟ فقال: رفع الأولياء، وحطُّ الأعداء، وطول البقاء مع القدرة والنماء.

وسئل الأعشى :أي العيش ألذ؟
فقال:صهباء صافية, تمزجها ساقية, من صوب غادية.
فهل يستوي هؤلاء ومن صبر علي البلاء، وتجافي عن الأهواء ،وثبت طيلة عمره علي الطاعات حتى لقاء ربه؟!

سئل الإمام أحمد: متى يجد العبد طعم الراحة؟ قال: عند أول قدم تضعها في الجنةِ.

الثامن: إيجابه سبحانه الجزاء لهم بغير حساب كقوله تعالي ((*إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ*))
أي حسرة وأي مرارة وعضّ علي أصابع الندم ،يُفاجأ بها أهل السخط والجزع ،حينما يستوفي الصابرون أجرهم، أي ينالون ما وعدوا كاملاً، غير منقوص ممن خزائن جوده لا تنفد بلا حساب ولا عدد ،يقول الأوزاعي :ليس يوزن لهم ولا يكال وإنما يغرف لهم غَرفا.
ويحك يا ابن آدم إذا كنت في دار ابتلاء وامتحان ,أيام هذا الامتحان محدودة وساعاته معدودة أفلا تثبت فيها وتصبر؛ فسرعان ما تعلن النتيجة فإذا أنت الخاسر من بين الممتحنين، وإذا أنت بجزعك قد بعت نفسك بلا ثمن.
قال الحسن البصري: لا تجعل لنفسك ثمنًا غير الجنة فإن نفس المؤمن غالية وبعضهم يبيعها برخص.

التاسع: إطلاق البشري لأهل الصبر كقوله تعالي (*وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ*))
بشّر الله عز وجل عباده الصابرين بالفوز في الدارين بصبرهم .
هاهم أهل الصُفّة، طائفة من فقراء الصحابة ،يجمعهم مسجد رسول الله صلي الله عليه وسلم لا أهل لهم ولا أزواج ولا مال لا حول لهم ولا قوة ولا معين سوى إيمان

عميق ،وصبر وتضحية بالنفس ،التي هي كل رأس مالهم متى طُلبت في سبيل هذا الدين, ألا ما أشد صبرهم وجلدهم ،يقول واثلة بن الأسقع :كنا أصحاب الصفة في مسجد رسول الله ـ صلي الله عليه وسلم ـ وما فينا رجل له ثوب، ولقد اتخذ العرق في جلودنا طرقًا من الغبار، إذ خرج علينا رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال: (ليبشر فقراء الهاجرين) ثلاثًا. رواه مسلم وغيره.

عبــاد ليل إذا جن الظلام بهم*** كم عـــــابد دمعه في الخد أجراه
وأسد غاب إذا نادي الجهاد بهم ***هبوا إلي الموت يستجدون رؤياه
يارب فابعث لنا من مثلهم نفرا ***يشيدون لنا مجدا أضعناه

العاشر:ضمان النصر والمدد لهم كقوله تعالي ((*بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُسَوِّمِينَ*)) ومنه قول النبي صلي الله عليه وسلم ((واعلم أن النصر مع الصبر))صحيح الجامع 6806
لقد وعد الله عباده المؤمنين بالنصر والتمكين بشرط أن يصبروا علي ما يلقون في سبيله من عنت ومشقة, وأن يثبتوا للقاء أعداء الله مهما بلغت جحافل قوتهم مداها فالنصر من الله وحده ((*وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ*)).

قال الشاعر الحكيم:

صبرتُ ومَن يصبرْ يجدْ غِبَّ صبره

ألذَّ وأحلَى مِن جنَى النَّحل في الفمِ

ومَن لا يطِبْ نفسًا، ويستبْقِ صاحبًا

ويغفرْ لأهلِ الودِّ يصرِمْ ويُصرَمِ

هذا شاب عربي مسلم يجمعه مجلس مع موشيه ديان، وزير الدفاع الإسرائيلي في ذلك الوقت، فيبادره الشاب الواثق من نصر الله قائلا :إننا سنهزمكم في يوم من الأيام؛ لأن رسولنا – صلى الله عليه وسلم ـ يقول ((لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود فيختبئ اليهودي وراء الحجر والشجر فيقول الحجر والشجر يا مسلم هذا يهودي ورائي فاقتله)) فقال له ديان :نعم نحن نعلم ذلك ولكن انظر إلي الحديث يقول :إن الحجر والشجر يقول ((يا مسلم)) أي أنكم لن تنصروا علينا حتى تكونوا مسلمين حقا وإن مهمتنا نحن اليهود ألا نمكنكم من ذلك في جيلنا علي الأقل.

....

الصبر فى القرآن – الجزء الثالث:

يقول رحمه الله:الحادى عشر :الإخبار منه تعالى بأن أهل الصبر هم أهل العزائم ،كقوله تعالى (وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ),وإن لم يكن أهل الصبر هم أهل العزائم الماضية فمن يكون ؟

قال المتنبى :

على قدر أهل العزم تأتى العزائم *** و تأتى على قدر الكرام المكارم

و تعظم فى عين الصغير صغارها *** و تصغر فى عين العظيم العظائم

هم حقا أهل الجلد على الدوام حتى فى أشد اللحظات قسوة ،ها هو عامر بن عبد الله وهو يجود بنفسه(يغالب الموت) يسمع المؤذن وكان منزله قريبًا من المسجد ،فقال خذوا بيدى ،قيل له: إنك عليل. قال أسمع داعى الله و لا أجيبه؟ فأخذوا بيده فدخل فى صلاة المغرب فركع مع الإمام ركعة ثم مات ، لله در هؤلاء الرجال كانت لهم عزائم أمضى من الفولاذ و أرسخ من الجبال الرواسى، هذا عمر بعدما طعن يدخل عليه شاب يجر إزاره ،فنراه يأمر بالمعروف و ينهى عن المنكر حتى وهو فى سكرات الموت قائلا:يا بن أخى ارفع إزارك فإنه أتقى لربك و أنقى لثوبك.

الثانى عشر :الإخبار أنه ما يلقى الأعمال الصالحة و جزاءها و الحظوظ العظيمة إلا أهل الصبر؛ كقوله تعالى(ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها إلا الصابرون) أوليسوا هم من صمدوا أمام الملذات والشهوات،أوليسوا هم من هجر الممنوعات والمحرمات، أوَلم يكونوا هم من تحمل الفاقة و الحرمان فصمدوا و احتسبوا، و جاهدوا و صبروا فهم أحق البشرية بعظيم الأجر والمثوبة بخلاف من أذلت الدنيا أعناقهم، واستعبدتهم شهواتهم فلا وزن لهم عند جبار السماوات والأرض (يجيء الرجل السمين العظيم يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة)

قال أبو العتاهية :

تعالى الله يا سلم بن عمروٍ ...أذلَّ الحرصُ أعناقَ الرجال

هب الدنيا تساق إليك عفوًا ...أليس مصير ذاك إلى الزوال

لم تستجرهم الدنيا بشهواتها وجواذبها الأرضية من وجوه الحل و الحرام ؛ إذ قلوبهم معلقة بما هو خير لهم و أبقى، ورد في الحديث الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (إنك لن تدع شيئًا لله عز وجل إلا بدّلك الله به ما هو خير لك منه) رواه أحمد

وقال الألباني : " وسنده صحيح على شرط مسلم

الإمام محمد بن مهدى: والله لا تجد فقد شىءٍ تركته ابتغاء وجه الله ،كنت و أخى شريكين فأصبنا مالًا كثيرًا فدخل قلبى من ذلك شىء(أى شككت فى أن هذا المال قد تشوبه شائبة من حرام ولو قليل) فتركته لله وخرجت منه، فما خرجت من الدنيا حتى ردّ الله ذلك المال عامته إلىّ و إلى ولدى :زوّج أخى ثلاث بناتٍ من بنىّ و زوجت ابنتى من ابنه ،ومات أخى فورثه أبى ومات أبى فورثته أنا فرجع ذلك كله إلىّ و إلى ولدى فى الدنيا.

الثالث عشر:الإخبار أنه إنما ينتفع بالآيات و العبر أهل الصبر؛ كقوله تعالى لموسى (أن أخرج قومك من الظلمات إلى النور وذكرهم بأيام الله إن فى ذلك لآيات لكل صبار شكور)

قدم صحابة النبى الكريم صلى الله عليه وسلم أروع النماذج فى التطبيق العملى للصبر الجميل عند وقوع البلاء امتثالًا لأمر الله عز و جل بالصبر، روى البخارى قصة الصحابية الجليلة الرميصاء امرأة أبى طلحة ،فعن أنس قال :اشتكى ابن لأبي طلحة ،قال: فمات وأبو طلحة خارج ،فلما رأت امرأته أنه قد مات هيأت شيئًا ونحّته في جانب البيت، فلما جاء أبو طلحة قال: كيف الغلام قالت قد هدأت نفسه وأرجو أن يكون قد استراح ،وظن أبو طلحة أنها صادقة قال فبات فلما أصبح اغتسل فلما أراد أن يخرج أعلمته أنه قد مات فصلى مع النبى صلى الله عليه ،وسلم ثم أخبر النبى صلى الله عليه وسلم بما كان منهما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعل الله أن يبارك لكما في ليلتكما قال سفيان: فقال رجل من الأنصار: فرأيت لهما تسعة أولاد كلهم قد قرأ القرآن.

ويعجبنى عبارة حكيمة للعلامة ابن خلدون ،قال: الناس في السكينةِ سواء فإن جاءت المِحَن تباينوا.

الرابع عشر: الإخبار بأن الفوز بالمطلوب المحبوب ،و النجاة من المكروه المرهوب ،ودخول الجنة إنما نالوه بالصبر كقوله تعالى (والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار) يتوجه الملائكة بالسلام والبشرى لأهل الصبر بأن ما أنتم فيه إنما هو بسبب صبركم فى الدنيا وثباتكم على الحق .

ذكروا أن منصور بن زاذان صلى الفجر بوضوء العشاء عشرين عامًا، وروى مثل ذلك تقريبا عن الإمام أبى حنيفة ،وهذا الإمام الأعمش-من أعظم أئمة الحديث- يقول عنه صديقه وكيع:كان الأعمش قريبًا من سبعين سنة لم تفته التكبيرة الأولى، واختلفت إليه أكثر من ستين سنة فما رأيته يقضى ركعة.

هم الرجال و غبن أن يقال لمن***** لم يتصف بمعالى وصفهم رجل

هؤلاء هم أهل الصبر الذين يستحقون البشارة ،جزاء ثباتهم على طاعة ربهم،فى زمن ينشغل معظم الناس فيه بكنز المكانز، وتشييد القصور لايهزهم صوت الأذان، فيقومون إلى الصلاة .

ألخىَّ إن من الرجال بهيمةً **** فى صورة الرجل اللبيب المبصر
فطن بكل مصيبةٍ فى ماله **** فإذا أصيب بدينه لم يشعر

هانت الدنيا فى نظر هؤلاء الأفذاذ فلم يبع أحدهم دينه ليربح الطغاة المستبدون دنياهم، بلا رقيب من ضمير أو نصيحة من عالم مخلص ، فى حين أن المهمة الأصيلة لأهل العلم هى النصيحة

قال أحد الصالحين : ليس شيء قط أعز من العلماء ، الملوك حكام على الناس و العلماء حكام على الملوك ،ها هو أحد العلماء العاملين يصف أحد زعماء مصر فى القرن الماضى و الذى جعله يهجر وطنه و أهله بأنه "طاغوت مصر الذى أذل أحرار أبنائها" ، على حين نستمع إلى أحد المنافقين يدخل علي نفس "الزعيم الملهم قائد القومية العربية" قائلا:

بشراى إن صلاح الدين قد عادا *** وأصبحت هذه الأيام أعيادا

أجمال مالك من بين الأنام أخ في الشرق والغرب ممن ينطق الضادا

لو كان يعبد من بين الأنام فتى ***كنا لشخصك دون الناس عبّادا

الخامس عشر: أنه يورث صاحبه درجة الإمامة ،سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية يقول: بالصبر و اليقين تُنال الإمامة فى الدين ،ثم تلا قوله تعالى (وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا و كانوا بآياتنا يوقنون)

هذا الإمام الشافعى ،من أعظم أئمة هذا الأمة ،ومؤسس علم أصول الفقه، ذاق الأمرين فى نشأته فى طلب العلم ،استمع إلى أقواله الحكيمة حيث يقول : لا يَطلب أحد هذا العلم بالملك وعزّ النفس فيفلح ، ولكن من طلبه بذلِ النفس و ضيق العيش و خدمة العلماء أفلح.

ويقول عن صبره وتماسكه : ما كذبتُ، وما حلفت بالله صادقًا و لا كاذبًا، و ما شبعت منذ عشرين سنة. و هل رفع قدر أحمد بن حنبل إلا صبره فى محنة القول بخلق القرآن؛ فصبر و ثبت ثبات الجبال الشُمّ حتى نصر الله به السنة ،و أعز به دينه ،فسمى بحق إمام أهل السنة و كان دائما يقول : إذا تكلم العالم تقية والجاهل يجهل متى يعرف الناس الحق ؟

و العجب من تباطؤ وتكاسل أهل الحق و عنفوان أهل الباطل هذه" جولدا مائير" تذكر فى مذكراتها أنها كانت تعمل لمدة ست عشرة ساعة يوميًا حتى أنشأت مع بن جوريون دولة الظلم المسماة اسرائيل.

السادس عشر :اقترانه بمقامات الإسلام و الإيمان، كما قرنه الله سبحانه باليقين و الإيمان و بالتقوى والتوكل و بالشكر و العمل الصالح و الرحمة ؛لهذا كان الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، ولا إيمان لمن لا صبر له كما أنه لا جسد لمن لا رأس له ،و قال عمر رضى الله عنه :خير عيش أدركناه بالصبر.

أقول :لا شك أن الصبر ذو صلة وثيقة العُرى بالأخلاق الفاضلة ،التى يتحلى بها تلقائيًا من وهبه الله الصبر والمصابرة ومنها :الحلم و حسن الخلق و سعة الصدر.

قيل للأحنف بن قيس ـ من حلماء العرب ـ : ممَّن تعلمتَ الحِلم؟ قال: مِن قيس بن عاصم المنقري، رأيتُه قاعدًا بفناء داره، محتبيًا بحمائل سيفِه، يُحدِّث قومه، حتى أُتي برجل مكتوف، ورجل مقتول، فقيل له: هذا ابنُ أخيك قَتَل ابنَك، فوالله ما حلَّ حُبوتَه، ولا قطع كلامه، ثم التفتَ إلى ابن أخيه، وقال: يا بنَ أخي، أسأتَ إليّ رَحِمك، ورميتَ نفسك بسهمك، وقتلت ابن عمّك، ثم قال لابنٍ له آخر: قُمْ يا بني، فحلَّ كتاف ابن عمِّك، ووارِ أخاك، وسُقْ إلى أمِّه مائةَ ناقة دية ابنها، فإنها غريبة، ثم أنشأ يقول :

إنِّي امْرُؤٌ لاَ يَطَّبَى حَسَبِي دَنَسٌ يُهَجِّنُهُ وَلاَ أَفْنُ

مِنْ مِنْقَرٍ فِي بَيْتِ مَكْرُمَةٍ وَالْغُصْنُ يَنْبُتُ حَوْلَهُ الْغُصْنُ

خُطَبَاءُ حِينَ يَقُولُ قَائِلُهُمْ بِيضُ الْوُجُوهِ مَصَاقِعٌ لُسْنُ

لاَ يَفْطِنُونَ لِعَيْبِ جَارِهُمُ وَهُمُ لِحِفْظِ جِوَارِهِ فُطُنُ

اللهم ارزقنا الصبر و المصابرة ،اللهم أبرم لهذه الأمة أمر رشد يعز فيه أهل طاعتك و يهدى فيه أهل معصيتك، وردنا إليك مردًا جميلًا.